

بحوث قيّمة

كارثة التعصب  
اللغويّة والثقافويّة

السيد أبو الحسن عليّ الحسيني الندوي

نقله إلى العربية  
عليّ عثمان

مؤسّسة الكتاب

بجوت قیمة

كارثة التعصب  
اللغوي والثقائي

السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي

نقله إلى العربية  
علي عثمان

مؤسسة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مَقَدِّمَةٌ

في الثالث والعشرين من آذار ١٩٧٢ التقى الاستاذ الداعية ابو الحسن علي الندوي كلمة في المؤتمر المنعقد تحت رعاية اتحاد الطلبة المسلمين في كلكتا بعنوان «كارثة التعصب اللقوي والثقافي» حيث تعرض بالنقد والتحليل لما يورثه التعصب الشديد من قوم أو أمة للفتها وتراثها الثقافي التقليدي دون النظر الى حقائق الامور، والنتائج المترتبة على هذه الشوفينية (١) منوها بذلك الى ما كان يحدث في شبه القارة الهندية من مأسا وانفصال بنغلادش عن جسم دولة باكستان الاسلامية. ويرد هذا التعصب الى جهل المسلمين.. وابعاد الدين عن التطبيق العملي

١ - الشوفينية : التعصب القومي الاعمى .

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الاولى

١٩٧٨

مؤسسة الكتاب

بيروت ص ب ٨٨٤٢

دمشق ص ب ١٠

في حياتهم . ويحث الشعوب الإسلامية الى اشباع ثقافتها  
ولفاتها بالروح الإسلامية المترنة باللغة العربية وترك  
الحمية الجاهلية جانباً لنستحق نصر الله الذي وعده به  
المؤمنون .

نشرت هذه المحاضرة فيها بعد على شكل مقالة ثم ما  
لبثت أن ترجمت الى اللغة الانكليزية في كتيب مسفير ،  
ولقد تفضل على الاستاذ الندوي بالموافقة على ترجمته  
الى العربية عن الطبعة الانكليزية : فانقدم بخالص شكرى  
للاستاذ الندوي وارجو أن أكون قد وفقت في عملي هذا ،  
وبتغلبه الله عز وجل خالصاً ، ويهدينا سواء السبيل . . .

دمشق في ٢٠/٥/١٩٧٨ م

علي مستو عثمان

لقد انعم الله على البشر بنعم عديدة . . واحدى هذه  
النعم مقدرة الانسان على التعلم من تجاربه الماضية .  
فان تعثر في طريقه ، فهو يحاول اكتشاف السبب ويزيل  
العائق من طريقه ، او انه يحيد بخطوانه تجنباً لها .  
اذا وجد طريقه غير سالك لوجود عوائق متعددة ، فانه  
ينتقل الى طريق مستوية ومستقيمة ، وحيثما ارتكب  
خطأ ، او وقع في مجازفة ، فانه يحاول فهم وتحليل  
سبب فشله ، ويحاول تجنب الخطأ الذي وقع فيه في  
المرّة الاولى ، فلا يسير على الطريق الخاطئة لئلا يصل  
الى الفشل للمرة الثانية .

لا شك في ان قدرة الانسان على فهم السبب والنتيجة  
وعلى تحليل العلاقة بينهما هي نعمة انعمها الله على  
الانسان وحده . والحقيقة ان هذه القدرة المميزة التي  
يتمتع بها الانسان هي التي تميزه عن الانعام والحيوانات ،  
وهي السبب الوحيد في كل تقدم بشري في مجال الفنون  
والعلوم ، والثقافة والحضارة .

« وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتبا ربه فتاب عليه  
وهدى » (١) .

أما الشيطان فقد أصر على معصيته وحاول تبرير  
فعله بهذا الشكل :

« قال انما خير منه خلقتني من نار وخلقته من  
طين » (٢) .

**نَعَمْ أَمْ نَقَمَ !؟**

ان التقدم الثقافي والحضاري الذي احرزته الانسان ،  
وكذلك التقدم الذي حققه في مجال كثير من النشاطات  
البشرية الاخرى ، مدينة بمنشأها للاخطاء التي ارتكبها  
الى درجة لا تقل أهمية عن كونها مدينة لمحاولاته التي  
كانت توجهها لقراراته الصحيحة . فلا مبالغة . . . اذا  
ادعينا ان فترات تاريخية قد بدأت بالانجازات الفاجمة  
عن اخطاء ، وان تاريخ البشرية على سطح كوكبنا هذا  
يسجل حوادث كثيرة كهذه ، وبعبارة اخرى فان التاريخ  
سجل لاطياء الانسان بقدر ما هسو سجل لقراراته  
واحكامه النامة واعماله الصحيحة . ونستطيع ان نورد

١ - طه : (١٢١ - ١٢٢) .

٢ - الاعراف : (١) .

وليس الانسان بمعصوم عن الخطأ ، بل الخطأ من  
طبيعته ، فهو عرضة لان يذمثر في طريقته ، فلقد توارث الخطيئة  
عن آباءه ، ولكن اعتراف البرء بخطيئته وشعوره بالتقدم  
والانسف لارتكابها ، ومحاولته اصلاح نفسه كل هذا  
عمل يستحق الثناء . وهذه هي الطريقة التي يعرض بها  
الانسان عن الخسارة التي لحقت به ، وأحيانا يصبح  
هذا الانسان مرتكب الاثم تائباً يذوب ندما وتأثراً ، حتى  
انه ليبلغ الدرجات العلى في لحظات قليلة . . . تلك  
الدرجات التي لا تدرك في سنين من العبادة والدموع ،  
والتي تحسده عليها الملائكة .

ولقد ارتكب أبو البشر خطيئة ايضا لكنه لم يصر  
عليها . فما ان وقع فيها حتى خر جاثيا على ركبتيه  
راجيا عفو ربه الرحيم ، وفي لمح البصر ارتفع آدم الى  
ذلك العلو الروحاني في القرب من الله عز وجل . . . ذلك  
العلو الذي لم يبلغه قبل ارتكابه للخطيئة المؤلمة ، ولقد  
نادى ربه :

« . . . ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا  
لنكونن من الخاسرين » (١) .

ماذا حقق آدم بتوبته الى الله ؟ ان القرآن يقدم دليلا  
بأيضا لانتجازه الرائع :

١ - الاعراف : ٢٣ .

لا يتوبون ولا هم يذكرون « (١) .  
ولقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم الثقة في حكمة  
المؤمن حيث قال :

« لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » (٢) .

### جاهلية اللغة والثقافة :

منذ أيام قديمة مضت ، وفي بلد ذي أغلبية مسلمة ،  
وفيه عدد لا يحصى من المساجد وبيوت العبادة ، والذي  
اشتهر بكونه موطناً للعديد من الوعاظ الدينيين والأولياء  
الصوفيين ، هبت عاصفة من التعصب اللغوي والثقافي .  
وجرّفت بعيداً بكل مساعي الدعاة ورجال الله على مدى  
قرون . فقتل المسلم أخوه المسلم دون أي وخز من تفسير  
وقتل آدميون بالطريقة التي يقتل بها الثعابين والمعقارب  
دون أدنى رحمة أو شفقة ، ولم يعد هناك ملجأ لاولئك  
الناس في البلد الذي فروا إليه يوماً ما لانقاذ حياتهم .  
وأصبح الإنسان يطارد الإنسان وكأنه صياد يرمي بشيائه  
لصيد السمك أو يقتفي أثر حيوانات برية دون أن يذوب  
قلبه رحمة أو تمتلئ مقلته بالدموع ، ولم تحترم غسة

١ - التوبة : ١٢٦ .

٢ - رواه الإمام أحمد في مسنده والبخاري ومسلم وابو داود وابن  
حاجة ، عن أبي هريرة وهو صحيح .

أمثلة كثيرة كهذه من التاريخ المدون الذي يؤيد هذا  
ويؤكدده :

إن نجاة النبي موسى عليه السلام وبني اسرائيل  
وغرق فرعون مع جنده في البحر الاحمر كان سبب ضياع  
الطريق امام موسى عليه السلام حينما عبر البحر الى  
صحراء سيناء .

وكولومبوس اكتشف القارة الامريكية نتيجة لخطئه  
في اتخاذ طريق بحري صحيح . لان طلبه الحقيقي كان  
ابتعاد طريق قابلة للملاحة الى الهند .

### انتشار الخرافة لخطأه :

لا يجوز لانسان واع حكيم ان يغمض عينيه على الخطأ  
الذي ارتكبه مسرة ، او يترك تحليل اسباب فشله .  
فالاحق وحده يرتكب نفس الخطأ باستمرار ، او يلدغ  
من نفس الجحر مرتين ، وهذا - بكل تأكيد - لا يليق  
بانسان مؤمن اتسم الله عليه بالهداية والحكمة مخاطب ان  
يستغل طاقاته العقلية وتجاربه في الحياة الى اقصى حد ،  
وان عدم أخذ العبر والعظات من التجارب الماضية من  
صفات المنافقين كما وصفهم القرآن . فهم في الواقع  
لا يستفيدون من تجربتهم :

« اولاً يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » (١) .

ومرة اخرى :

« ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السننكم والوانكم ان في ذلك آيات للعالمين » (٢) .

ان تاريخ البشرية مليء بالحروب والغزوات المأساوية والاحداث الاليمة ولكننا لم نسمع بحرب واحدة قط اعلنت من اجل اللغة أو الثقافة وحدها ، ولقد اشتهر العرب بلغتهم الجميلة وبتحيزهم لها الى درجة انهم سمو كل الشعوب الاخرى اعاجم . ولكن لم يذكر التاريخ حربا واحدة اعلنت من اجل لغتهم ، ولقد شجب الاسلام هذه النزعات واعتبرها محرمة ومحظورة وسماها بـ « الحمية الجاهلية » ، وحارب الاسلام هذه العاطفة وخط من شأنها ، وساواها برواسب الجاهلية الوثنية ، وانتقص منها واعتبرها بمثابة مكائد من اجل عبادة الاوثان وانكار الله ، ووصف المتحمسين لها بأنهم اعداء لله ورسوله واعلن : بأن الذين يقاتلون من اجلها ثم

١ - سورة الحجرات الآية ٢٣ .

٢ - سورة الروم الآية ٢٢ .

النساء ولم يرحم الضعفاء والشيوخ ، وحتىى الاطفال الابرياء لم يعاملوا بأدنى شفقة أو رحمة ، ولقد انزل الاخ باخيه كل انواع العذاب والالام ، سواء كانت من جراء الجوع والعطش ، أو المحن الشديدة ، ولقد طغى صنم اللغة على الايمان بوحداية الله واخوة الانسان ، حطم التعصب القومي والعرقى اخوة الاسلام ، وتغلقت جاهلية الماضي الوثني على الروابط الموحدة للمعقيدة الاسلامية وتضمت عليها بشكل تام وكأنها لم تكن موجودة في أي مكان أو زمان منذ ظهور الاسلام . ولم يهن مسلم من قبل مسلما آخر أبدا بالطريقة التي حدثت في ذلك البلد حتى ولا في الماضي البعيد .

### الفروق اللغوية :

لقد تكونت لدى الانسان العديد من اللغات والثقافات والطقوس والعادات منذ ان ظهر على سطح هذا الكوكب ، وان هذه الفروق في اللغات وانماط الحياة ساعدت الانسان على تطوير نماذج جديدة من الثقافة واغناء وتحسين حياته . والحقيقة - كما يذكرنا القرآن - ان هذه كلها نعم الهية من الله بها على الانسان :

يتفكرون يموتون ميتة المرتدين والكفار ، ولم نسمع حتى عن الجاهلية اننا حاربت ارضاء لعاطفتها السائدة وهي تحيزها لتفويتها اللغوي .

في الواقع ان القومية العدوانية الاوروبية هي التي منحت اللغة والثقافة نظرة تيجيل ، وخلقت منها آلهة ، اهرق دم الانسان وقدم ضحية على مذبحها ، وشجعت الامم على احياء ثقافتها وتراثها القديم ، ولتبعست اللغات الميتة وحتى القتال من اجلها !!! هذه هي الوثيقة الجديدة للعصور الحديثة التي ادت الى ظهور شكل جديد من الحروب العالمية، والتي لم يعرفها العالم منذ زمن طويل . لقد بثت أوروبا ايدولوجيتها بفكر واف وبصيرة نادرة ، وبالتدرج شيئاً فشيئاً علقت القومية بمخيلة الشعوب المسلمة التي كان ابناءؤها مؤمنين حقاً ، ويحتقرون كل آثام وسفاسات الماضي الوثني ، وكان ممن المتوقع الا يتعوا غريسة للعصب اللغوي مثل غيرهم من الشعوب ، وذلك بسبب توجيه الدين الاسلامي . والحق انه كان من واجبهم معرفة ان هذه الفرعة لا نجد ثواباً من الله عز وجل ولا تعادل حبة من خربل في حكمه .

ولكن فجأة ظهر هذا الخطر الجديد في العالم الاسلامي، وانفجر كالبركان في قلب بلد مسلم مواكبا بالموت والدمار،

وبكل تأكيد فان هذا الاتجاه لم يهدف الى ارضاء الله عز وجل ، او الى كبسح جماح الشر والفساد ووساوس الشيطان، ولم يكن الهدف من ذلك احلال السلام والمودة، او نشر رسالة الرحمة والاخوة . حدث كل ذلك لان الاغلبية العظمى لهذا البلد اعطت اذنا صاغية للامراوغين الماكرين في الغرب ومن سار في ركبهم . وهكذا وضعت الاغلبية على خط سير خاطيء .

### خسارة للاسلام لا تعوض :

وعلى الرغم من كسوف اوراق الدم المسلم والقتل والتدمير محزنا فيبقى الوجه المعيب للامر هو تسليح اعداء الاسلام بسلاح جديد ضده ، والنتيجة التي وضعوها هي ان الاسلام غير قادر على توحيد شعوب مختلفة ذات اجناس وثقافات ولغات مختلفة ، وانه باعتبارها مبدا عقديا غير ملائم لتوفير قوة لجمع الشمل ولبناء مجتمع ما وتأسيس دولة .

ويستشهد اعداء الاسلام بهذا الحادث كدليل على الضعف المتأصل في الاسلام غير القادر على تدبير وصيانة الكيان الاجتماعي المنظم على اساسه !! . هذا هو افطع ضرر يلحق بالاسلام من جراء الشموفينية اللغوية والثقافية .



## الداء وأسبابه :

لنفترض أن كل ما حدث كان نتيجة لعبة سياسية كان تكون بعض الأحزاب السياسية المنطوية على بث الشقاق والفرقة قد نجحت في تضليل شعب بسيط . . . . . وأما أن تخدع أمة بكاملها بهذه السهولة !! . . . . . وأن تضلل السبيل بشكل تام !! . . . . . حتى انها فقدت التمييز كله بين الإيمان والردة، وبين الاسلام والجاهلية، وبين النالف والنافر !! فلم تكن مجرد مصادفة ، أو سبب حماقة الشعب بكامله . ولم تكن بسبب النفاق الماكر ودهاء قواده . وما من حركة سياسية تستطيع النجاح في أي بلد كان ما لم يكن السبب مستعدا لقبول الايديولوجية التي يتنادي بها زعماء تلك الحركة ، وتحظى بتأييد صادق من الجماهير ، ولو لم تكن الاممة في حالة نفسية لتقبل تلك الايديولوجية والاعتراف بها لمرت هذه العاصفة النارية الضارية من فوق رؤوسهم دون أن تجرف كل شيء أمامها كما يفعل السيل الجارف ، ومهما كانت رجة الهياج منيرة فهي ليست متينة أبدا ، ولكن القلق (الاضطراب) العميق الجذور وطبيعته المنتشرة على مدى واسع ، وقوته تبين أن الامة سبق وأن ابتليت بالمرض ، وأن وعيها للتضامن الاسلامي لم يكن ناميا ومتقدما بالشكل التام ، وكان يعوزها المستوى اللازم من التعليم في العقائد والممارسات الاسلامية ، والا فانها لا يمكن أن تكون قد سقطت بهذه السهولة في أيام المحنة . . . . .

لنفترض أنك تعيش في أحد المراكز المالية التجارية في الهند فستكون على علم تام بأن ارتفاع وهبوط الاسعار والتوقف المؤقت في العمل والتجارة ، أو خسارة طفيفة أو فائدة طفيفة ليست بنفس اهمية فقدان (خسارة) شركة ما لاسمها التجاري . لان الاسم التجاري لشركة ما هو الاشارة ورمز للشهرة التي تمتاز بها تجارتها ، وهو يعتبر واحدا من موجوداتها الثمينة وله قيمة نقدية رائجة، حتى انه يشتري ويبيع بمئات الالاف من الروبيات اعتمادا على رواج تجارة الشركة . . . . . والحوادث الذي ذكرته نوات قد وقع على الاسلام ووقع الخسارة الفظيعة وظل مسعوبات هائلة في وجه الطماء والدعاة الذين يقدمون عقيدتهم باعتبارها قوة توحيد عظيمة . وغرق ذلك فقد شكك ما وقع بمكامل منجزات الاسلام التاريخية والآن من يستطيع الدفاع عن ميزة المساواة في الاسلام التي محنت في يوم ما التمييز بين البيض والسود والاسيويين والافريقيين واللاسوك والفقراء والسادة العبيد ؟ !! ان الاعمية لانجازات الاسلام الماضية هي حقيقة ثابتة ترتفع فوق أي شك أو شبهة ولقد أعجب العالم دائما بانجازاته ، ولكن الآن كيف نقول للعالم : ان مشاعر وعواطف الاخوة التي جاء بها الاسلام تتجاوز فروق العرق واللون واللغة وتوحد المؤمنين في مجتمع روحي واحد غير متفكك !!؟ هذه هي الخسارة التي لا نرى كلمات للتعبير عن الاسف لها ، حتى وان خرفت دموع من دم فهي لا تكفي للثناء على النكبة التي حلت بالاسلام.

## الافتقار الى الوعي الديني :

« ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ، وان يحب المرء لا يحبه الا لله ، وان يكره ان يعود في الكفر بعد ان انقذه الله منه كما يكره ان يلقي في النار » .

## ادراك الجاهلية :

على المسلم ان يكره العمل ضد مصلحة الاسلام او التحالف مع اعدائه ، وانه ليتوجب عليه استغفار ربه لمجرد ذكر افتراض كهذا ، وعليه الا يخطر بباله امكانية كهذه ابدا ، وعليه الا يكون عاطفيا يكتفي بالنفور من الجاهلية فحسب بل عليه ان يدرك تماما مظاهرها الخداعة لئلا يخدع بمكرها . وعلى المسلم الا يسمح لنفسه بان يخدع بحيلة الجاهلية الكاذبة حتى وان ظهرت برداء الكعبة والقرآن في يدها . وعليه ان يلجأ الى الله للاحتماء منها ، وأن يكتشفها في جميع الاشكال والصور التي تتخذها في الظهور امامه .

## خدع الشيطان :

ان تكتيك الشيطان او بالاحرى استراتيجيته في معركته ضد المسلمين هي انه دائما يهاجم عندما يرى نقطة ضعف

ان السبب الاكبر لهذا الحادث المؤسف ، في رايي هو الافتقار الى الوعي الديني الصحيح . فلا يكفي ان يكن المرء حيا خائفا للاسلام فحسب بل يتوجب عليه ان يكون لديه وعي متطور في ادراك الامور من الوجهة الاسلامية ، وعلى المرء الا يكون متعلقا بالاسلام عاطفيا فحسب بل يتوجب عليه ان يكره كل الفلسفات والافكار والمثل اللااسلامية ، ولقد عبر القرآن في مواضع عديدة كرهه للشيطان والحيلة الوية البهتان والجاهلية قبل ان يدعو الى الانتكال على الله انتكالا تاما فيقول :

« ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها » (١) .

حتى ان الشهادة التي تثبت ايمان المؤمن تبدا بانكار وجود الالهة بكافة اشكالها فتبدا بـ « لا اله الا الله » ثم تؤكد على السيادة العليا المطلقة لله عز وجل بعبارة « الا الله » . ونعلم من الاحاديث النبوية ان ايمان المؤمن لا يكتمل ، ولا يتضح له ادراك معنى ايمانه الا اذا تعلم ان يهتق السردة وكل مظاهرها . ولقد ورد في احد الاحاديث النبوية الشريفة من رواية البخاري (٢) :

١ - البقرة ٢٥٢ .

٢ - الصحيحين : رواه البخاري ومسلم الترمذي والنسائي وابن ماجة واحمد في مسنده عن انس وهو حديث صحيح .

حساسنة في جانبهم ، وانه لا يلجأ الى نفس المكيدة ضد كل فرد أو فئة من المسلمين ، وان هيبساته الخفية للورع وانقي ليست من أجل ان يتغمس في شهوات الجسد ابدا لانه لا ايل له بالنجاح في مسعى كهذا ، وانما يريد أن يضلهم بمظاهر الشهرة ، والمجد ، والغرور ، والغيرة ، والحكم الذاتي ، وحب السلطة ، والثروة ، وانه يخبرهم ان يناضلوا من أجل الحكم الذاتي ، وتقدم حضارتهم ولغتهم وسيادة قومهم ، مهما كانت المخاطر !!! هذه بعض الاهداف الطنانة التي كثيرا ما ضللت حتى المثقفين وذوي الاطلاع الواسع بالاضافة الى أولئك الناس ذوي الايمان المتين والروح القوية .

### طيش العرب :

كانت تلك هي الاغنية الساحرة التي غناها الشيطان لاغواء العرب ، ولقد أُخبروا أن القرآن انزل بلغتهم وأُرسل آخر رسول من الله اليهم ، وان بيت الله ومثوى رسوله صلى الله عليه وسلم في ارضهم ، وانه ما من شعب يستطيع أن يدعي فهم عقائد الاسلام اكثر منهم . لذا لن يكون من العدل على الإطلاق أن ينظر العالم الإسلامي الى القسطنطينية كمركز سياسي له ، وان يكون التركي الذي ليس من سلالة العرب ولا يتكلم لغة القرآن مقررا (متحكما) لمصير العرب . لقد كانت الحجة التي تروى للكثيرين منهم — والذين كانوا يحملون منذ زمن طويل بامبراطورية عربية وبالحكم الذاتي وبتقاسم

الكليل الفار — بانهم استاءوا من السلوك المتعجرف المتعطر للاتراك . لذا فقد رفعوا راية التمرد ضدهم . وأصبحوا اداة في يد المستعمرين الانكليز !!! وتعاون شريف مكة مع الحلفاء اعداء الاتراك في حاضرة الاسلام . واحتذى به العرب في العراق والشام .

لقد تحققت خطط القوى الامبريالية ... فالاتراك هزموا وانتهت الخلافة العثمانية ، وتمزق تضامن العالم الاسلامي ، ولكن هذه لم تكن هي النهاية ... فانه بسقوط الخلافة هدم حصن الاسلام ، ولم يعد هناك شيء تخافه القوى الاوروبية ، او قوة تحسب حسابها . لذا تصرفت بكامل الحرية في بلاد الاسلام ، وظهرت فكرة الوطن القومي لليهود . ثم تحقق انشاء دولة اسرائيل وقوت بنيانها ، وأخيرا اجبر العرب على أن يشاركوا في بيت المقدس وقبة الصخرة ايضا ... كل هذا كان نتيجة التعلق بالايديولوجيات الجاهلية التي أسرت قلوب العرب وارواحهم .

### التعصب : حمية الجاهلية :

كل طالب في علوم القرآن والسنة النبوية الشريفة يعلم ان التعصب الاعمى لطائفة ما من أجل العرق . الدم ، اللون ، اللغة او الثقافة ، هو من تقاليد الماضي الوثني شجبه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بقوة ، ويعلن كتاب الله بكلمات ليس فيها غموض او التباس :

## فوضى اللغات :

ان الاختلاف في اللغات التي يتكلم بها البشر هو امر طبيعي بل انه في الواقع لنعمة . . . فالقرآن يصف هذا الاختلاف بأنه فضل الهى وانه من بديع صنع الله :

« ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف المنتمكم والوانكم ان في ذلك لايات للعالمين » (١) .

ولكن عندما تتمجد اللغات وتقدس ، ويرفع مقامها الى مستوى الالهية تصبح نقمة أكثر من كونها نعمة . ووسيلة هدم بدل أن تكون أداة الود والمحبة . . . عندئذ يئذ البشر على مذبحها قرابين حية للآلهة .

واللغات وجدت لتوحد لا لتفرق . فيجب أن تكون وسيلة اتصال لا أداة انفصال ولتؤلف بين الناس وتجعلهم يهتمون بشؤون بعضهم البعض ، ويتقاسمون اهتماماتهم وهمومهم ، وأن يعملوا كأصدقاء يسعون بعضهم البعض ، ولكن اذا كان هدفها دق أسفين الفرقة بين الشعوب ، وخلق العداوة وتوريث البغضاء والحقد والضغينة فمن الافضل لو أن الانسان ولد دون لسان ، وبقي ابكم الى الابد ، في الواقع لو خلق كذلك لكان سبيل التفاهم بين البشر بالاشارات والايهات أقل قسوة

١ - سورة الروم الآية : ٢٢ .

« اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية » (١) .

ومثله ورد في احد الاحاديث النبوية :

« ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية » (٢) .

وذات مرة تشاجر رجل من المهاجرين مع آخر من الانصار واستجد كل منهما بقومه ، اذ نادى الرجل الاول : يا للمهاجرين . . . بينما صاح الآخر : يا للانصار . . . وعندما انتهى ظلسك الى النبي صلى الله عليه وسلم لمحهما قاتلا :

« دعوهما فانها خبيثة » (٣) .

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكره تعصب الجاهلية حتى انه كان ينهي — دائما — اولئك الذين يرفعون هذا الشعار أو ينادون الناس للمناصرة باسمها ، ما كان الرسول صلى الله عليه وسلم ليتفوه بكلمة قاسية حتى ضد الاعداء ولكنه أجاز انكار التعصب الجاهلي بمنتهى الصرامة والقسوة دون ابداء اي مجاملة او مراعاة ، أو اللجوء الى لغة المجاز .

١ - الفتح الآية : ٢٦ .

٢ - ابو داود عن جبير بن مطعم وهو حديث حسن .

٣ - رواه البخاري .

والما سما عليه الحال الان من حيث التعذيب والمذابح  
ولكان ذلك - على الاقل - سيخلمس النساء والاطفال  
البريين من الاهوال التي لا توصف ، والبلاد كلها من  
الدمار والخراب ...

الانسان لا يفكر بشئ :

والانسان لم يخلق للغة ، وانما اللغة هي التي وجدت  
من اجله ، وان حياة انسان واحد انفس من كنوز اللغـة  
وآدابها باكملها ، واغلى من كل مجموعات النثر والشعر ،  
ومن كل الكتابات الرائعة والمنمقة ، وكل ما خطه قلم  
الانسان . فاللغات تظهر السى الوجود ، وتنتشر وتبديل  
فيعترها التحول والذبول وتموت ، ولكن الانسان يبقى  
هو نفسه وسيبقى كذلك دائما .

وعى الاسلام :

لا يمكننا انكار حقيقة ان مساعينا لم توجه الى تطوير  
الوعي الاسلامي بقدر ما وجهت الى غرس الشعور  
الديني في الازمان ، ومراقبة الواجبات الدينية ، ونتيجة  
لذلك نرى التفاوت بين الادراك العام لاهداف الاسلام  
ككل ، وبين المحافظة على واجباته الدينية في معظم بلاد  
المسلمين . فستطيع ان تجد رجلا مفرط التقيد باقامة  
صاواته ، وتركبة نفسه ولكنه في الوقت ذاته يمكن ان  
يكون ذا ادراك ظاهري غير متطور من حيث وعيه

الاسلامي . فهو يتبع بدقة العقائد والعبادات ، ولكنه  
يبقى جاهلا بمبادئ الاسلام الاساسية ، وبمقدوره  
ارتكاب خطأ لا يليق بمسلم حسن الاطلاع ، وربما كان  
على جهل تام بالتمييز بين الاسلام والجاهلية ، ويمكن  
بسهولة ان يقع ضحية لخداع دجال ذكي ، وقد يصبح  
أداة في يد غير المسلمين لتدمير الاسلام ، وانه فعل كل  
ذلك عن حسن ظن دون ان يشعر بأقل تناقض بين فعله  
وعقيدته . وتستطيع ان تجد الكثير من الامثلة لهذه الحال  
في التاريخ الاسلامي ، وربما اعطت الحوادث الاخيرة  
المثال الصحيح لها .

لقد كان هؤلاء الناس من بين كل مسلمي شبه القارة  
الهندية معروفين دائما بايمانهم الصحيح ، في الخطب  
واللقاءات الدينية ، ولكن للأسف لقد سقطوا ضحية  
للاعيب الساسة المخادعين ، وان هؤلاء المسلمين  
البسطاء اما ان يكونوا مظللين بوسائل الغواية فأصبحوا  
شركاء في هذه المسرحية المأساوية من الدم والنار ، او  
انهم لم يستطيعوا المقاومة بصمود وشجاعة في مواجهة  
تعصب الجاهلية كما هو الواجب بحكم كونهم مسلمين ،  
وعناصر في مجتمع واع لذاته .

صحابه النبي صلى الله عليه وسلم :

ولكن الامر كان مختلفا تماما بالنسبة للصحابة .  
فالارشاد الذي تلقوه من الرسول صلى الله عليه وسلم

كان كاملاً وشاملاً لمجموعة السلوك البشري بكامله وأنه لمن العبث البحث في صفحات التاريخ عن نماذج لهم في الحصافة ونفاذ البصيرة، لقد خلق فيهم الإرشاد النبوي بصيرة مكنتهم دائماً من التمييز بين الحق والباطل، وبين العدل والجور، وبين الإسلام والجاهلية .

لقد كانت أعماق قلوبهم وعقولهم في وضع لا يسمح بنفاذ أي شيء مخالف إليها ولا لشيء، ملئوا أو جائر أن يحظى منهم بالقبول . والآن أود أن أضع أمامكم مثالا جلياً لفطنة الصحابة رضي الله عنهم ، لتعلموا مدى حب الصحابة وتقديرهم للنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم . ولولا الخوف من تألبيهم لكائن بشري حيث يتعارض ذلك مع عقيدة التوحيد لكان حبهم للرسول لا ثاني اثنين في هذا الكون .

ولقد عبر شاعر فارسي بجدارة عن إعجابهم وتقديرهم للرسول بهذا القول :

\* وبإختصار فأنك بعد الله أعظم من تقدره \* .

كان الصحابة يعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ، وأن كل ما يقوله وحى من الله تعالى، وكان إيمانهم راسخاً بما جاء في كتاب الله حيث بين بوضوح :

«وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى» (١) .

والآن ضعوا هذا التقدير والتبجيل من قبل الصحابة رضي الله عنهم للنبي صلى الله عليه وسلم في اعتباركم وستدركون بشكل افضل ما سأخبركم به :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه رضي الله عنهم : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » (٢) .

بحكم إخلاص الصحابة — رضي الله عنهم — لمرشدهم المحبوب فانهم يلتزمون بما أوصاهم به من نصرة أحدهم لآخيه المسلم ، وكان هذا الأمر في صيغة « انصر » غاية في الوضوح بالنسبة لأولئك الذين يدركون معنى الأمر من النبي صلى الله عليه وسلم ولكن هذا الفهم — لظاهر الحديث — يتعارض مع الإرشاد (٣) الذي تلقوه من قبل ، والتوجيه النبوي الذي زودوا به لمعارضة الظلم والظلمين ، فأتار هذا في نفوس الصحابة ذلك التساؤل دون تريث فقالوا :

«انصره مظلوماً فكيف انصره ظالماً؟» فالرسول لم يلجم ولم يبد استنياه . بل انه سر ليفسر لهم ما قاله : أجل .

١ - سورة النجم الآيتان : ٣ - ٤ .

٢ - من معاني الأمر « الوجوب » .

نحجزه عن ظلمه فذلك نصره» (١) . وهذا التفسير  
أوضح الأمر كله للصحابة .

معصية الله أمر لا يجوز :

ليكم المثال الآخر على نفس الوعي الإسلامي المتثور:  
بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليها  
الصحابي عبدالله بن حذافة رضي الله عنه وأوعز إلى  
الجند أن يطيعوا توجيهات أميرهم طاعة تامة ولكن حدث  
بعض التردد في تنفيذ أوامره فنصب الأمير وأمرهم بجمع  
الخطب وعندما انعموا من جمعه أصرم فيه النار ، وطلب  
من جنده أن يلقوا بأنفسهم فيها !! . فرفضوا أن يفعلوا  
هذا الأمر . فقال لهم عبدالله :

«ليس أمركم النبي صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني»

قالوا « بلى » « فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضا  
ويقولون فررنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من  
النار » (٢) .

ولما عادوا إلى المدينة رفع عبدالله القضية إلى النبي  
صلى الله عليه وسلم ، ولم يثن الرسول صلى الله عليه  
وسلم على موقف الصحابة من أميرهم فنصب ، بل  
قال :

١ - البخاري ومسنده أحمد والترمذي وهو صحيح .

٢ - البخاري .

« لو دخلوها ما خرجوا منها أبدا » .

ثم أضاف الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا : « إنما  
الطاعة في المعروف » (١) .

هذه هي الحكمة التي ساعدت المسلمين على الدوام  
أن يسيروا على المنهج السوي من الفخيلة والصلاح ،  
وهي التي منعتهم من أن يستسلموا لدعوات الملوك  
والحكام المستبدين ، وكذلك القادة الضالين ، ولقد كان  
المبدأ الذي يرشدتهم هو ما قدمه لهم الرسول صلى الله  
عليه وسلم : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » (٢) .  
لقد احتفظ المسلمون بتوازنهم العقائلي في المواقف  
الحرجة . . . ومضوا في طريقهم بأمان دون أن يلقوا  
بأنفسهم في الاضطرابات العاطفية التي تثيرها العصية  
الجاهلية ، وقدموا عددا لا يحصى من العلماء والمصلحين  
ذوي الشجاعة الفائقة ، والذين رفضوا الانسياق مع  
التيار العاطفي في زمانهم ، والانجراف مع الناس في  
عاداتهم العامة ، وشعاراتهم الرائجة التي تحت الناس  
على مجارة زمانهم ، وأن قصة شجاعتهم الغالبة والتي  
بدأت باستشهاد كربلاء يمكن رؤيتها مستمرة بشكل أو  
بآخر وكان ذلك كله تعبيرا حقيقيا للمبدأ الثابت : « التزام  
طاعة الله عز وجل مهما كانت العواقب » . . .

١ - رواه البخاري ومسلم وأحمد في مسنده عن علي كرم الله

وجهه وهو حسن .

٢ - رواه أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه عن عمران والحكم

بن عمرو الفقاري وهو صحيح .

## الجرح الميت :

الجرح الميت، دون ريب ، ولكن ما من داء ليس له دواء ، وان الامر يتطلب سلوك الحكمة والتصميم: فإذا اردت استرداد الكنز الذي فقدته أو اقتناع ولدك بعدم تبذيره لماله ، أو ان تجد شاة مفقودة عندئذ يتوجب عليك العمل لتحقيق ما تبغيه . . . . . وإذا كان السم يحقن بالكلمة فانك تستطيع ان تقدم الترياق وهذا في الواقع اسهل لان الله خلق اللغات لتجمع بين الناس لا لتفرق . ولقد عبر شاعر فارسي عن الفكرة ذاتها في بيت قصير طو فيقول :

« لقد جئت لتوحيدي

لا لتفريقي » .

## الخطر الأكبر :

ان تجريد لغة ما من الفكر والروح الاسلامية ، ومن الاسلوب ومن المصطلحات المتعلقة بالمقيدة امر مهم بالخطر دون ريب . . . . . ان اللغات على اتصال وثيق بأفاق الفكر وأعمق التلب . فإذا كانت لغة شعبي ما من الشعوب دمغت بأفكار غير اسلامية فسلط طريقة تفكير هسا وأسلوب تعبير هسا ومصطلحاتها وبسلاقتها . . . . . تشابهها واستمرارها . تؤخذ من التقاليد الجاهلية والاعراف الوثنية إذ انها تعتبر الشخصيات ، والشعراء ،

والكتاب الجاهليين مثلا أعلى يستحقون المنافسة ويضمرو شعورا من النفور والكراهية ازاء الاسلام والابطال المسلمين وفكرهم . ثم احذر من ان الامة عرضة للوقوع في شرك الردة الفكرية والثقافية ، وانه يمكن دائما اثاره نزواتها الجاهلية لتفسد عليها عقليتها ، وان أي شعسار يدعوها الى التعصب العرقي واللغوي يكفي لان يجننها ، ولقد رأينا كيف حدث ذلك منذ أيام قليلة مضت . . . . .

والآن . . . . . من الواجب عليكم ان تسدوا مصدر هذا الشر ، ومن الواجب عليكم ليس تعليم هذه اللغات فحسب بل تغذية آدابها بالاعمال وبالكتب والنصوص الاسلامية الى حد بعيد ولتجعلوها اسلامية روحا ومحتوى وتغذوها بالروح والاحكام الاسلامية ، وعليكم ان تخلصوها من تلك الوضاعة الثقافية التي تبعدها عن الاسلام ، وتدفعها نحو انماط الفكر الجاهلية . ومن الواجب عليكم خلق ذلك الشعور الذي يستطيع به التمييز بين الاسلام والجاهلية وتغرسوا حب الاسلام في قلوب اصحاب تكلم اللغات ، واقت لكل ما هو غير اسلامي بحيث انه لا يستطيع عصبية الماضي الجاهلي والتعصب الوطني الوثني ، ولا دعوة لتجنيد القوى من اجل نصره العرق او اللغة . . . . . الوطن او القوم ان تدق اسفين الفرقة بينهم وبين الاسلام في المستقبل .



فتجرب شهيد جديد :

إذا مكنكم الله عز وجل من اتمام هذه المهمة فإن  
اخطائنا الماضية والخسائر المحزنة التي عانيناها تستطيع  
ان تقودنا الى عقبة انجاز مشرق اعظم ، وان هؤلاء  
الاخوة في دين الاسلام يشكلون جزءا لا يقدر بثمن من  
الامة، وهم الذين قدموا مئات العلماء والاولياء الصالحين،  
ولا يزالون يحملون شعلة الاسلام في قلوبهم . . . انهم  
اولئك الناس الذين انجزوا اعمالا بطولية فذة تحت راية  
حضرة سيد احمد شهيد في القرن الثالث عشر الهجري ،  
حتى ان احد نقاد الاسلام العنيد مثل الدكتور منتسر  
الزم بلن يقدم لهم تحياته الحارة لشجاعتهم ولتحميسهم  
لدينهم . اذا استطعتم النهوض الى مستوى المسؤوليات  
فان عهدا جديدا من اليمت الاسلامي بلا شك سيشرق  
على هذه البلاد النعيسة .

« . . . يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينعمر من يشاء  
وهو العزيز الرحيم » (١)

١ - سورة الروم الآيتان : ٤ - ٥

— ٣٠ —

سيصدر قريبا

٢ — مصادر العلوم الاسلامية

للاستاذ ابو الحسن علي الحسيني الندوي

٣ — الاسلام في عالم متغير

للاستاذ ابو الحسن علي الحسيني الندوي